



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"يَتْرُو" هو النصّ الأسبوعي الخامس من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الثامن عشر وينتهي بالآية الثالثة والعشرين من المقطع العشرين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

شَعْبٌ مِنَ الْقَادَةِ

يتكوّن النصّ التوراتي الأسبوعي المعروف باسم "يَتْرُو" من مشهدين يُشكّلان معًا مثالًا واضحًا على التباين. يرد المشهد الأول في المقطع الثامن عشر من سفر الخروج، حيث يُقدّم يَتْرُو، حمو نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى وكاهن مَدْيَن، أول درسٍ في القيادة له. أمّا في المشهد الثاني، فمن يحرك الأحداث هو الله عزّ وجلّ نفسه، إذ يتجلّى على جبل سيناء ويُبرّم عهدًا مع بني إسرائيل في ظهورٍ إلهيٍّ غير مسبوق ولا مثيل له أبدًا. فللمرة الأولى والوحيدة في التاريخ يظهر الله عزّ وجلّ بكلمته لشعبٍ بأكمله، ويُبرّم معهم عهدًا ويمنحهم أشهر وأوضح مدونة أخلاقية في العالم، وهي الوصايا العشر.

فما القاسم المشترك بين نصيحةٍ عمليةٍ يقدّمها كاهن مَدْيَنٍ وبين كلمات الوحي الخالدة نفسها؟ إنّ هذا التباين مقصودٌ ومُهمٌّ، أريدُ به أن يُبيّن أنّ أشكال وهياكل الحكم ليست حكرًا على الشعب اليهودي وحده، بل هي جزءٌ من "الحوخماه"، أي الحكمة الإنسانية الكونية التي يشترك فيها البشر جميعًا.

لقد عرف اليهود أشكالًا عديدةً من القيادة: قيادة الأنبياء، وقيادة الشيوخ الحكماء، وقيادة القضاة، وقيادة الملوك؛ ثم قيادة ال"ناسي" في أرض إسرائيل زمن الحكم الروماني، وقيادة ريش جَلوتا (أي رأس الجالوت، وتعني رأس الجالية) في بابل؛ ثم مجالس المدن مثل "شِفْعاه توفّي هَعير"، وأشكالًا متنوّعةً من الأوليغارشيات، وصولًا إلى البرلمان الإسرائيلي المنتخب ديمقراطيًا – المعروف باسم ال"كنيسيت".

إنّ أشكال الحكم ليست حقائق أبدية، أي أنّها ليست مطلقة أو ثابتة إلى الأبد، بل تتغيّر بتغيّر الزمن والظروف، ولا هي حكرٌ على بني إسرائيل وحدهم. وفي الواقع، تقول التوراة عن الملكية إنّ الوقت سيأتي حين يقول الشعب: "اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ"، كما ورد في الآية الخامسة من المقطع الثامن من سفر صموئيل الأول. وهذه هي الحالة

شَعْبٌ مِنَ الْقَادَةِ

الوحيدة في التوراة كلّها التي يُؤمّر فيها بنو إسرائيل أو يُسمح لهم فيها بتقليد الشعوب الأخرى. ويعني ذلك عدم وجود نظام سياسي يُعدّ خاصًا باليهود لوحدهم.

غير أنّ ما يُميّز الشعب اليهودي عن سائر الشعوب هو مبدأ العهد في جبل سيناء؛ أي إنّ بني إسرائيل هو الشعب الوحيد الذي ملكه ومُشرّعه الأعلى هو الله عزّ وجلّ نفسه، كما ورد في الآيتين التاسعة عشرة والعشرين من المزمور المئة والسابع والأربعين: "يُخْبِرُ يَعْقُوفَ بِكَلِمَتِهِ، وَيَسْرَائِيلَ بِفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ. لَمْ يَصْنَعْ هَكَذَا بِأَحَدٍ الْأُمَمِ، وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَغْرِفُوهَا. هَلَّلُونَا".

لقد أرسى العهد في سيناء، وللمرة الأولى في التاريخ، حدودًا أخلاقيةً للسلطة، مفادها أنّ كلّ سلطة بشرية إنّما هي سلطةٌ مفوّضة، تخضع للمعايير الأخلاقية العليا لشريعة التوراة التي أنزلها الله عزّ وجلّ على البشر. وخارج السماء، أي هنا على الأرض، لا وجود لسلطة مطلقة. وهذا بالذات ما ميّز الديانة اليهودية على الدوام عن إمبراطوريات العالم القديم والقوميات العلمانية في الغرب. وهكذا، يُمكن أن يتعلّم بني إسرائيل السياسة العملية من كاهنٍ مدينيّ، لكن عليهم أن يتعلّموا حدود السياسة من الله عزّ وجلّ نفسه.

ورغم التباين بين مشهد تقديم يثرو للنصيحة وبين مشهد تجلّي الله عزّ وجلّ في سيناء، ثمة موضوعٌ واحدٌ يجمع بينهما، وهو مبدأ التفويض في الحكم وتوزيع السلطة وديمقراطية القيادة. فمع أنّ الله سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على أن يحكم بمفرده، إلّا أنّه مع ذلك فوّض السلطة إلى نبيّه ورسوله موشيه، الذي فوّضها بدوره إلى مستويات أدنى من القيادة.

وقد أثّر هذا الموضوع على لسان يثرو حين جاء لزيارة صهره موشيه، فرآه يقود الشعب وحده، فقال له: "لَيْسَ الْأَصْلَحُ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ" كما ورد في الآية السابعة عشرة من المقطع الثامن عشر من سفر الخروج. وقد وردت عبارة "لو توفّ"، وتعني ليس الأصلح، في موضعين فقط في التوراة، أحدهما في هذا المقطع، والثاني في الآية الثامنة عشرة من المقطع الثاني من سفر التكوين، حيث يقول الله عزّ وجلّ: "أَلَا خَيْرٌ فِي بَقَاءِ آدَمَ وَحْدَهُ". وهذا يُعلّمنا أنّنا لا نستطيع أن نقود بمفردنا، ولا أن نعيش بمفردنا، لأنّ الوحدة ليست خيرًا.

ثمّ يقترح يثرو تفويض الحكم وتوزيع السلطات والمهام، وذلك كما ورد ابتداءً من الآية التاسعة عشرة وانتهاءً بالآية الثالثة والعشرين من المقطع الثامن عشر من سفر الخروج:

"الآن، اقتبل مِنِّي مَا أُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ، وَيَكُونُ اللَّهُ مَعَكَ، كُنْ أَنْتَ لِلْقَوْمِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ، تَرْفَعْ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَتُنْذِرُهُمْ عَلَى الرُّسُومِ وَالشَّرَائِعِ، وَتَعْرِفُهُمُ الطَّرِيقَ الَّتِي يَسْلُكُونَ فِيهَا، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُونَ. وَأَنْتَ فَانْظُرْ مِنْ جَمِيعِ الْقَوْمِ، أَنَا سَا ذَوِي حَيْلٍ، أَثَقِيَاءُ اللَّهِ، ذَوِي حَقٍّ شَانِي الطَّمَعِ، وَوَلَّ عَلَيْهِمْ رُؤُوسَاءَ آلَافٍ وَمِائَاتٍ وَخَمْسِينَاتٍ وَعَشْرَاتٍ. يَحْكُمُونَ فِيمَا بَيْنَ الْقَوْمِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَكُونُ كُلُّ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ يَرْفَعُونَهُ إِلَيْكَ، وَكُلُّ أَمْرٍ صَغِيرٍ، هُمْ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَخَفَّفَ عَنْ نَفْسِكَ، وَيَحْتَمِلُونَ مَعَكَ".

لقد كان اقتراح يثرو تفويضًا واسعًا للسلطة، يتمّ فيه توزيعها ونقلها إلى مستويات أدنى، بحيث تضمّ كلّ مجموعة تتكوّن من ألف رجلٍ إسرائيليين مئةً وواحدًا وثلاثين قائدًا: رئيسًا واحدًا على الألف، وعشرة رؤساء على كلّ مئة، وعشرين رئيسًا على كلّ خمسين، ومئة رئيس على كلّ عشرة، أي إنّ واحدًا من كلّ ثمانية رجالٍ بالغين تقريبًا كان مُتوقِّعًا أن يتولّى دورًا قياديًا ما.

وفي المقطع التاسع عشر، قبيل تجلّي الله عزّ وجلّ على جبل سيناء، أمر الله عزّ وجلّ نبيّه ورسوله موشيه أن يقترح على بني إسرائيل إبرام عهدٍ معه. وفي سياق ذلك، يوضّح الله عزّ وجلّ ما هي الرسالة التي أوكّلها للشعب اليهودي، كما ورد ابتداءً من الآية الرابعة وانتهاءً بالآية السادسة من المقطع التاسع عشر من سفر الخروج:

"أَنْتُمْ شَاهِدْتُمْ، مَا صَنَعْتُ بِالْمَصْرِيِّينَ وَحَمَلْتُكُمْ شَبِيهَا عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ، وَأَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى جَبَلِي هَذَا. وَالْآنَ إِنْ قَبِلْتُمْ أَمْرِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي، كُنْتُ لِي خَاصَّةً مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، عَلَى أَنَّ لِي جَمِيعَ الْعَالَمِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي، مُلُوكًا وَأَئِمَّةً (مملكة كهنة) وَشُعْبًا مُقَدَّسًا".

إنَّه تصريحٌ بالغ الدلالة. ففي العالم القديم كان لكلِّ أمةٍ كهنتها: ففي الآية الثامنة عشرة من المقطع الرابع عشر من سفر التكوين نتعرَّف على ملكيتسيدق/ملكيبصادق، معاصر أفرهام/إبراهيم، الموصوف بأنه "كاهنٌ لله العليّ". وفي قصَّة يوسف نقرأ أنَّ كهنة مصر اسْتُثِنُوا من تأميم الأراضي إِبَانِ المجاعة، كما ورد في الآية الثانية والعشرين من المقطع السابع والأربعين من سفر التكوين. أمَّا يَترو نفسه فقد كان كاهنًا مَدِينِيًّا. وبذلك لم يكن الكهنوت في حدِّ ذاته أمرًا فَرِيدًا، إذ كان لكلِّ شعبٍ كهنته ورجاله المقدَّسون.

لكن ما ميَّز بني إسرائيل عن سائر الشعوب هو أنَّ جميع أفرادهِ دُعُوا ليكونوا كهنة، فكلُّ مواطنٍ ينتمي إلى هذا الشعب مُطالبٌ بأن يكون مُقَدَّسًا.

أتذكَّر بوضوح أنَّني كنتُ واقفًا إلى جانب الحاخام عادين شتاينزالتس في الجمعية العامة للأمم المتحدة في آب/أغسطس عام 2000، في لقاءٍ فريدٍ جمع أُلقيَ زعيمٌ دينيٌّ من جميع الأديان الكبرى في العالم. وأُشِرْتُ إليه آنذاك أنَّنا، حتَّى في هذا الجمع المهيِّب، كنَّا مختلفين؛ إذ كنَّا نحن من بين القلَّة القليلة من القادة الدينيين الذين يرتدون البدلات الرسمية، بينما ارتدى سائر الزعماء الدينيين لباسهم الدينيَّ المميَّز. ولعلَّها ظاهرة تكاد تكون عالمية أن يلبس الكهنة ورجال الدين ثيابًا خاصَّة تُشير إلى أنَّهم مميَّزون ومنفصلون عن غيرهم، وهذا هو المعنى الأساسي للكلمة العبرية "قَدُوش"، أي المقدَّس. أمَّا في اليهودية التي تلت الفترة التوراتية، فلم يكن ثمة لباسٌ كهذا، لأنَّ كلَّ واحدٍ كان مُطالبًا بأن يكون مُقَدَّسًا.¹ وقد أطلق الفيلسوف اليوناني ثيوفراستوس، تلميذ أرسطو، على اليهود وصف "أمة من الفلاسفة"، في إشارةٍ إلى الفكرة ذاتها.²

غير أنَّ السؤال يظلُّ قائمًا: في أيِّ معنًى كان اليهود "مملكة كهنة"، كما ورد في الآية السادسة من المقطع التاسع عشر من سفر الخروج؟ وكيف تُفسَّر هذه المعضلة؟

لقد كان الكهنة يمثِّلون نخبةً بين الشعب، وكانوا من سبط لاوي، ومن نسل أهارون/هارون أول كاهن أعظم. ولم يحصل قطُّ أن جُعِلَ "تاج الكهنوت"، المُسمَّى في العبرية "كِتْر كِهوناه"، متاحًا للجميع. وأمام هذه الإشكالية قدَّم المفسِّرون التوراتيون حلِّين:

- الحاخام شلومو يتسحاقي المعروف بـ"راشي"، والحاخام شموئيل بن مئير المعروف بـ"راشبايم"، قالا إنَّ كلمة "كوهنيم"، أي الكهنة، قد تعني أمراء أو قادة.
- أمَّا الحاخام أفرهام بن عزرا، والحاخام موشيه بن نحمان المعروف بـ"رمبان"، فقد قالا إنَّها قد تعني الخَدَم.

وهذا بالضبط هو بيتُ القصيد: لقد دُعي بني إسرائيل لأن يكونوا شعبًا من القادة الخادمين، أي القادة الذين يخدمون الشعب. لقد كانوا هم الشعب المُكلَّف، بحُكم العهد مع الله عزَّ وجلَّ، بأن يتحمَّلوا المسؤولية لا عن أنفسهم وعائلاتهم فحسب، بل عن الحالة الأخلاقية والروحية للشعب بأسره. وهذا هو المبدأ الذي عُرف لاحقًا بالقول التلمودي: "كول يسرائيل غريشيم زيه بازيه"، أي كلُّ أفراد بني إسرائيل، أي اليهود، مسؤولون عن بعضهم البعض (التلمود، باب "شَفُوعوت"، 39 أ).

1. This idea reappeared in Protestant Christianity in the phrase "the priesthood of all believers," during the age of the Puritans, the Christians who took most seriously the principles of what they called the Old Testament.

عادت هذه الفكرة للظهور في المسيحية البروتستانتية تحت عبارة: "كهنوت جميع المؤمنين"، إِبَانِ عصر البيوريتان، أي المسيحيين الذين أخذوا مبادئ ما كانوا يُسمُّونه "العهد القديم" على أكبر قدرٍ من الجِدِّ.

2. See Josephus, *Against Apion* 1:22.

إنّ اليهود هم الشعب الذي لم يترك القيادة لفردٍ واحد، مهما بلغ هذا الفرد من قداسةٍ أو رفعة، ولا لنبهةٍ صغيرة. بل كان كلُّ واحدٍ منهم مُطالبًا بأن يكون أميرًا وخادمًا في الوقت نفسه؛ أي إنّ كلَّ واحدٍ منهم كان مدعوًا إلى أن يكون قائّدًا. ولم تتجذّر القيادة يومًا بهذا الشكل الديمقراطي العميق كما في اليهوديّة، وهذا بالذات ما جعل قيادة اليهود تاريخيًا أمرًا عسيرًا. وقد قال حاييم فايتسمان، أول رئيسٍ لدولة إسرائيل، مقولته الشهيرة في هذا الصدد: "أنا رأسُ شعبٍ من مليون رئيس!".

إنّ الله عزّ وجلّ هو راعينا، لكن في الوقت نفسه، فإنّ اليهود ليسوا خرافًا. وهذا ما جعل اليهود يُحدثون أثرًا في العالم يفوق بكثيرٍ حجمهم العدديّ. فهم لا يُشكّلون إلّا جزءًا ضئيلًا جدًّا من سكّان العالم، نحو عُشْرَيْن بالمئة فقط (أي نحو 0.2% من سكان العالم)، لكنّهم شكّلوا دائمًا نسبةً استثنائيةً من القادة في شتّى مجالات النشاط الإنسانيّ.

وباختصار، أن تكون يهوديًا معناه أن تكون مدعوًا للقيادة.³

3. On the role of the follower in Judaism, see the chapter on *Parashat Kedoshim* in this volume.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG